تداعيات العدوان على لبنان عند المثقفين العرب (1)

الأردن: الغاء المهرجانات والفعاليات الفنية ومقالات تندّد وتطالب بكسر جدار الصمت

عمان ـ «القدس العربي»

من يحيى القيسي:

بدا صيف عمان هادئا ومترقبا للأحداث الكبرى التي تعصف بالبلد العربي الجريح لبنان، وتلك الهجمة الوحشية التي يتعرض اليها، وتراوحت ردود الفعل بين كتابة المقالات والاعتصامات والمظاهرات وجمع التبرعات، والغاء النشاطات الفنية، كما أكد العديد من المثقفين والمبدعين الأردنيين استنكارهم للصمت العربي ازاء ما يجري، وطالبوا بأن يكون الرد على قدر الحدث الجلل سواء في غزة أو في لبنان على السواء، وبخصوص المهرجانات فقد علقت اللجنة العليا لمهرجان جرش فعاليات الدورة الحالية الى اشعار آخر بعد أن كان من المقرر أن تقام خلال الفترة من 26 تموز (يوليو) الجاري وحتى العاشر من الشهر المقبل احتفاء بمرور ربع قرن على انطلاقه، وأشارت اللجنة في بيان صحافي الى «انه نظرا للظروف الاستثنائية الصعبة التي تمر بها المنطقة والعدوان على لبنان الشقيق، ولما كان مهرجان جرش للثقافة والفنون منتميا للجسم الثقافي العربي بخاصة والانساني بعامة ومنسجما مع نبض الناس وهواجسهم ومعبرا عنهم ولهم، قررت اللجنة العليا تأجيل المهرجان هذا العام» وهذه هي المرة الثانية التي يتم فيها تأجيل مهرجان جرش أو الغاؤه، فقد سبق أن أجل في عام 1982 الذي شهد عدوانا اسرائيليا أيضا على لبنان.

من جهتها قررت بلدية اربد الكبرى ايقاف جميع النشاطات الفنية المدرجة على جدول الاحتفالية الخاصة بمرور 125 عاما على تأسيس البلدية والابقاء فقط على النشاطات الفكرية والثقافية حسب ما صرح بذلك مدير الدائرة الثقافية في البلدية الروائي هاشم غرايبة مشيرا الى «الاوضاع الراهنة التي يشهدها لبنان الشقيق وتضامنا مع الشعبين اللبناني والفلسطيني لما يتعرضان له من عدوان غاشم بآلة الحرب الاسرائيلية».

أما المهرجانات الأخرى التي أقيمت خلال الأسبوع المنصرم وأبرزها مهرجان الفحيص فقد تأثر بوضوح مع غياب الفنانين اللبنانيين في الأيام الأولى، بعد تعذر وصولهم بسب تدمير مطار بيروت والطرق البرية، كما تغيب عدد من أبرز الشعراء اللبنانيين أيضا عن الحضور، أما «القرية العالمية» التي تقام للسنة الثالثة على التوالي فقد تأثرت في برنامجها الفني الذي خصص له مسرح يتسع لبضعة آلاف نتيجة لغياب معظم الفنانين اللبنانيين المشاركين ومن تضامن معهم من العرب، فيما لم تتأثر فعالياته التجارية التي شهدت حضورا مكثفا مع رجوع عشرات الآلاف من السياح الخليجيين من لبنان، اضافة الى الاقبال المحلي الكبير للتعرف والتسوق في أجنحة 19دولة عربية وآسيوية وأفريقية هي: سورية، الهند، فلسطين، سنغافورة، الصين، الامارات العربية المتحدة، العراق، السعودية، تايلاند، الباكستان، اليمن، ايران، مصر، كينيا، الكويت، السودان، السنغال اضافة الى الأردن.

أما المقالات التي كتبت فقد تراوحت بين المقالات المطولة والمخصصة للحدث أو المشاركات في الآراء حول ما يجري من خلال التحقيقات التي أجرتها الصحف اليومية مع عدد كبير من الكتاب والفنانين، وهنا مقاطع من بعض المقالات التي كتبها بعض الأدباء الأردنيين خلال الأيام المنصرمة تعليقا على ما يجري:

المقاومة وحدها تسند أرواحنا

الشاعر يوسف عبدالعزيز قال في مقال له بعنوان «انها الحرب» نشر في ملحق الرأي الثقافي الجمعة 21 من الشهر الجاري «... في كل حرب تشنها علينا، وفي كل مجزرة تقيمها، تحاول (اسرائيل) كدولة اغتصاب أن تثبت الأكذوبة، أكذوبة نشوئها وبقائها على هذه الحرب التي تتنفس العربيةالفصحى، ان هذه الحرب الجديدة كسابقتها من الحروب هي بمثابة حرب اولى، أو (حرب استقلال) للكيان الصهيوني تماما كما صرح به ابان انطلاقة الانتفاضة المجرم المحتضر شارون، وهكذا فليس هناك من خيار أمام القتلة الا المزيد من الحروب التي تعريهم وتفضح نواياهم الشريرة، غير أن ما يميز هذه الحرب الجديدة التي تلتهب فوق أرض لبنان الحبيب هو مقدار الدمار والقتل الهائلين اللذين تقوم بهما آلة الحرب الصهيونية، فمن دك للبيوت الآمنة وتسويتها بالأرض الى البطش بالمدنيين وحرق أجسادهم الى قصف الجسور والمستشفيات والمصانع ومحطات توليد الكهرباء يبرز الوجه القبيح للمؤسسة العسكرية الصهيونية باعتبارها المؤسسة الأشد ظلامية وانحطاطا ونازية في التاريخ المعاصربأسره..... بالمقاومة وحدها يمكن لنا فقط أن نسند الروح المتعبة، وأن ننطلق باتجاه الحياة لنحب ونتناسل ونحلم ونبدع ونكتب على جدارالزمان نحن هنا، اذا لا شيء يدل على وجودنا الآن في ظل هذاالكساح المعرش، وفي ظل هذه التنبلة العامة والحظائر التي تغص بالبشر الجوف أمثالنا، لا معنى لحياتنا وهي تتدحرج من هزيمة الى هزيمة متوجة بكل هذا العار... في أواسط القرن الماضي سحبوا منا فلسطين، وبالأمس القريب اقتطعوا من لحمنا العراق، واليوم يحرقون لبنان، ولا نعرف غدا أي الشياه ستقاد الى الذبح، ليست المقاومة طارئة في حياة العربي، لقد ولدت معه جنبا الى جنب عبر جميع مراحل التاريخ، وترعرعت معه كأخت طيبة في كل أوقات الشقاء، في كل مرة كان يأتي الغزاة، أحيانا من الشرق، أحيانا من الغرب، ولكنهم كانوا يذهبون مع الريح».

المثقف العربي والمقاومة

أما ملحق الدستورالثقافي فقد كتب مسؤوله الناقد فخري صالح مقالا افتتاحيا بعنوان «المثقف العربي والمقاومة» قال فيه «يبدو المثقفون العرب في هذه الحرب الجهنمية التي تدور رحاها ضد فلسطين ولبنان فتأكل أجساد الأطفال والنساء والشيوخ قبل أن تطيح بالبنايات وتدمر الجسور والطرقات منقسمين على أنفسهم بعضهم مثل أنظمتهم الرسمية ينعى على حزب الله توقيته لمعركة لا يحتملها لبنان ولا المنطقة، وبعضهم الآخر يرى أن فعل المقاومة هو ما ينبغي أن يشدد عليه في هذه المعركة التي يريد منها الاسرائيليون والأمريكان وحلفاؤهم ذوو التلاوين المختلفة في العالم والمنطقة العربية تكسير عظم العرب جميعا لا اللبنانيين والفلسطينيين وحدهم، ولا أظن أن المجال الثقافي العربي شهد من قبل مثل هذا الانقسام حول مشروعية المقاومة وتوقيتها وشكلها وطبيعة الفاعلين فيها لأسباب عديدة بعضها يتصل بطبيعة الاصطفافات السياسية والأيديولوجية وبعضها يتصل بالنتائج التي يمكن أن تؤدي اليها هذه الحرب الدائرة على حدود الأفكار والتصورات الايديولوجية كما هي دائرةعلى الأرض وفي البحر والجو..... لنؤجل الخلاف اذن حتى نستطيع الخروج من عنق الزجاجة، لننس النظام العربي الذي يمتلك حسابات أخرى ويلتحق

مذعورا خائفا منذ مدة طويلة بالرؤية الأمريكية للمنطقة التي رأينا تجلياتها الدموية القيامية في العراق خلال السنوات الثلاث الماضية: قتل على الهوية، وحروب طائفية مذهبية، وفوضى ودمار شامل وتفكك كامل للدولة بحيث يمكن حسب رؤية المحافظين الجدد المجنونة «اعادة ترتيب هذه الفوضى الخلاقة» لكن لصالح من؟ لصالح اسرائيل المتلهفة على تقسيم المقسم وتفتيته حتى لا يقوى على التماسك في يوم من الأيام».

لا نملك غير الدموع

الروائية سميحة خريس قالت في مقالها الافتتاحي الملحق الرأي الثقافي الذي تشرف عليه ليوم الجمعة الماضية: «اليوم وعلى وجه التحديد كان موعد رحلتي الى لبنان، حيث هبطت قطعة السماء الزرقاء فاخضرت،

كنت أمني النفس بلحظة صفاء أستمتع فيها بالمدى الذي ينفتح عليه البحر قبالة صخر الروشة، أستعيد صوت فيروز وهدير وديع الصافي، وأتصور كيف سيكون مهرجان الابداع العربي الذي تقيمه وزارة السياحة والثقافة اللبنانية لتكريم الكتاب والمبدعين والفنانين العرب، تصورت أن عز لبنان الثقافي قد عاد بزخم كبير، ولعلي في أعماقي لم أظن لوهلة أن على لبنان تكريم مبدع لأي سبب من الأسباب، فعندما يتعلق الأمر بوطن غال وحبيب وفاتن مثل شجرة أرز فاننا ننحني كل يوم لنكرمه في خواطرنا وكلماتنا التي تكتسب منه طيفا من رواء..... دم اللبنانيين حرام، كما دم كل عربي، كما دم كل انسان على وجه البسيطة، لكن العالم يسترخص دمنا ويمضي بالصمت الى آخر الشوط، أعرف أني سأذهب يوما الى لبنان، وألقي نظرة وجد الى البحر الذي يعرفني، أصافح الوجوه التي تعبر حولي بنظرات محبة وتقدير للشعب الذي يحمل وزر صمتنا، وانكفاء العالم على أولويات ليس منها دمنا، ومجددا ستغني لبنان للثقافة والسياحة والمحبة والتطلع الى المستقبل، ونغني «خبطة أقدامكم ع الأرض هدارة ... انتو الأحبة والكم الصدارة»... ونختنق بالدموع التي لا نملك سواها.

السلام لن يحصل

القاص والصحافي وأمين عام اتحاد الكتاب العرب الأسبق فخري قعوار قال في مقاله في الرأي: «ما دام العدوان الاسرائيلي يتصاعد ويستمر في شن الهجومات على فلسطين ولبنان، وما دامت قوات الاحتلال تمارس العنف اليومي، وتواظب على قصف المدنيين والابنية والطرق، فان التوتر العربي الشامل لكل ابناء الامة يتزايد، ويرفع من درجة الكراهية للعدو، وينقل الجميع الى مكافحة الارهاب، سواء أكان بالكلام ام بالدعم المادي ام بالنضال المباشر ام بالانضمام الى المقاومة. ولأن العدو يقوم بالعنف والتدمير للفلسطينيين منذ ما قبل النكبة، وعبر النكسة، وحتى الان، ولأن العدو يقوم بالعنف الحالي ضد الاشقاء اللبنانيين، ولانه سبق ان احتل جنوب لبنان وهضبة الجولان السورية وصحراء سيناء المصرية، بالاضافة الى احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة، ولانه شن هجومات ضد الفلسطينيين في القطر العربي تونس، ولانه تغلغل في العراق منذ بداية الاحتلال الامريكي، فان هذه التصرفات العدوانية البشعة وغير المبررة، تثبت ان الاعتداءات ضد فلسطين ولبنان وسورية ومصر والاردن والعراق وتونس، وان السلام لن يحصل، وان الوئام لن يحدث، وان الاستقرار في المنطقة كلها لن يكون له وجود، كما ان هذه الاعتداءات ضد بعض الاقطار العربية، تجعل كل ابناء الامة العربية في حالة رفض الانحناء للقوة الاسرائيلية، وفي حالة الصمود والوقوف مع المقاومة، الى ان يخضع العدو للمنطق وللحقوق الخاصة بالاشقاء الفلسطينيين والاشقاء اللبنانيين والاشقاء السوريين.

وقد بدأ التجاوب العربي ضد الهجومات الاسرائيلية، وسعت حكومات عربية على دعم اللبنانيين والفلسطينيين، وحصل تقديم المساعدات الطبية والمادية والغذائية، وحصل استقبال الاشقاء الهاربين من احتمالات القتل والدمار، وعبرت قيادات العديد من المهرجانات الثقافية والفنية عن تأجيل مشروعاتها السنوية، لأن المواطنين باتوا يراقبون العنف الاسرائيلي، ويفكرون بمكافحة العدو، ولم تعد لديهم الفرصة الملائمة لمتابعة الانشطة الثقافية والفنية.

مهرجان جرش للأغاني الوطنية

أما القاص والصحافي ابراهيم جابر ابراهيم فكان له رأي مختلف في تأجيل أو الغاء مهرجان جرش لهذا العام وقال في مقال له في جريدة «العرب اليوم»: «قرار الغاء» مهرجان جرش المنشور في الصحف اليوم لم يكن قراراً موفقاً على الاطلاق، وخصوصاً أن الالغاء «أو التأجيل لاشعار آخر كما سُمِّيَ» جاء بذريعة يقول فيها ان المهرجان طالما كان منتمياً للجسم الثقافي العربي بخاصة والانساني بعامة، ومنسجماً مع نبض الناس وهواجسهم ومعبراً عنهم ولهم»... وبهذه الذريعة نفسها نقول ان الالغاء كان متسرعاً وغير مدروس.

فتحت عنوان الانتماء للوجدان العربي الجمعي كان يمكن للمهرجان تخصيص دورته هذه لعنوان وطني ملتزم مناصرة للشعبين العربيين اللذين يتعرضان للعدوان، واستضافة عدد من المغنين «لا المطربين» العرب مثل مارسيل خليفة وجوليا بطرس وسميح شقير وفرقة «ناس الغيوان»، وابقاء الفعاليات الشعرية، وشارع الحرف، وفعاليات الساحة، كما هي ... وفي ظل المشاعر الشعبية المتنامية واللاهبة أراهن أنه كان سيحقق «حتى بالمفهوم الربحي التجاري» أكبر نجاح في تاريخه!

الزملاء الخبيرون بجرش وخلال نقاشنا أمس بعد قرار تجميد المهرجان، رفضوا فكرتي بحجة أنه تم تجريب الجانب الوطني في دورة جرش 2002 ولم تنجح تجارياً، مع أنني أتذكر أن حفلتي سميح شقير كانتا مكتظتين بالجمهور حتى آخر كرسي حجري، ... ولكن لو افترضنا جدلاً صواب رأيهم في المردود الربحي فان المردود الايجابي لسمعة المهرجان عربياً كان سيصل ذروته، وسيلاقى بترحيب وطني وقومي هائل، وسنكون حينها متماهين فعلاً مع هواجس الناس وانشغالاتهم الذهنية والمشاعرية!

واذا كان الرد أن الوقت غير كاف الآن لتوقيع اتفاقات جديدة مع فنانين آخرين «مع أن الفكرة مغوية لحضورهم بلا تردد وبتساهل مادي» فكان من الممكن احياء المهرجان بفنانين أردنيين أصحاب سمعة معروفة في الأغنيات الوطنية مثل كمال خليل ومكادي نحاس وسحر خليفة وفرقة الحنونة...

الفكرة هي أننا كجزء من الوطن العربي الذي لا يستطيع تقديم شيء ملموس لدعم هؤلاء الناس فلماذا لا يسعدُ النطق ان لم تسعد الحال.

يوقظون فينا الارادة

من جهته كتب الروائي هاشم غرايبة في «الرأي» مقالا جاء فيه:

«كما اختطف رأس المال بث مباريات كأس العالم، يجري اختطاف وقائع العدوان الغاشم على لبنان وفلسطين والعراق، ليخضع الصورة والكلمة والحقيقة لآلته الاعلامية الضخمة فيعيد إنتاجها على هواه ووفقا لمصالحه.

في حروبهم السابقة كان الصهاينة يدعون كمرات التلفزة وميكروفونات الإذاعات وأقلام الصحافيين ليواكبوا انتصاراتهم السهلة عبر بث حي ومباشر، لكنهم اليوم يخضعون كل شيء للرقابة ولإعادة الإنتاج ويحاولون أن يصيغوا وقائع الأحداث عبر فيلم مزيف أعيد إنتاجه باستوديوهاتهم ليخفوا اضطرابهم.

كانوا يعملون بصمت ويفسحون المجال لوسائل الإعلام كي تنقل ضجيجنا الصاخب وخطبنا الجوفاء ... ولكنهم اليوم يرغون، ويزبدون، ويكذبون... وبالمقابل فإن المقاومة اللبنانية تعمل بصمت ، وتتصدى بصبر، فتبدد ضجيج طائراتهم، وتكشف رعونة بوارجهم.

نعم إنهم يقتلون ويدمرون ويسحقون لكنهم يوقظون فينا الإرادة، ويدلوننا على طريق النصر.

صحيح أن العالم كله يؤازرهم ليس بالصمت هذه المرة بل بالتشجيع على الإثم والعدوان أيضا، ولكن جبهتهم الداخلية، تهتز.

لقد هاجموا لبنان بعد أن أخذت شروخ الفسيفساء الطائفية مداها ، لكن لبنان يتوحد اليوم، وقلوب العرب والمسلمين تتوحد أيضا في مواجهة آلتهم الحربية العمياء.

هاهم يقتلون ويدمرون ويسحقون، لكنهم يقولون ما لا يفعلون، يطاردون رجلا فردا فلا يصيبونه، فيضطرون للجوء إلى لغونا الذي هجرناه. ها هو نصر الله يتنقل من خندق إلى خندق ويختبئ تحت الأرض..!

هذا مضحك. أيريدون من محارب حر وقلب شجاع أن يذهب لصيد السمك في هذه الظروف: أم يريدون منه أن يبارزهم على سطح بناية شاهقة في بيروت؟!

كل المحللين الاستراتيجيين يتنصلون هذه الأيام من خبرتهم العسكرية و يعزفون عن التنبؤ بالنتائج، وهم نفسهم الذين كانوا يتحفوننا بتحليلات عسكرية واستراتيجية مفحمة. لا بأس: يكفي أن خطابنا هادئ ومتوازن وعقلاني وخطابهم متناقض وكاذب وأهوج.

انهم يبدون كـ«النمور» في اليوم العاشر وأمام الإرادة والشجاعة هم نمور من ورق.

هكذا

سهيل كيوان *

هكذا إذاً
أسيرُكم مخطوفٌ
ومخطوفُنا أسيرْ
فقيرُنا قارونٌ
وغنيكم فقيرْ
قتيلُكم له أم وأب
وأسرة وأصدقاء
وقتيلُنا
من الجدار والغبار
جاء..
من رعدةٍ أو برقةٍ
أو من كيسٍ فحمٍ
نطفته صدفةٌ عمياء
قتيلكم عاشقٌ يحب الرقص
والرسم والشعر والغناء
وقتيلنا حاقد لا يحسن
سوى البكاء والشقاء
والضحكة البلهاء

* * *

في عروقنا
كازٌ وبنزين
وحتى بولٌ
وفي عروقكم
أطهرُ الدّماء

* * *

من حقكم أن تقطعوا
التيارَ
أن تسمّموا الأرض
والفضاء
أن تصادروا الغذاء والدواء
ومن حقكم أيضاً
أن تفسدوا علينا
وليمة خبزنا الحافي
ونغبة الماء

* * *

أيها التافهون
نرجوكم
أحبّوا أبناءكم
وبناتكم
رجالكم ونساءكم
وامنحونا فرصةً

...

لخيانة من نُحب
امنحونا فرصة البكاء
من لسعة الحُبّ

* * *

اتركوا لنا الرمال
نصنع منها حاراتٍ
وبيوتاً
خدوداً ونهوداً
وقدوداً
اتركوا لنا موجة واحدةً..
لعلها تحمل
لأطفالنا وأطفالكم
رذاذاً من الآمال

* * *

أيّها البائسون اليائسون
تقتلون ألفَ رجلٍ
وألفَ طفلٍ
وألف امرأةٍ
تسملون عيون الشجر
وتسدّون مليون شباكٍ
وتهدمون مليون حجرٍ
كالقطط
تفعلونها
وتحتجّون
والعالم العاجز
يبكي ويندب معكم
يقدّثيابه لإرضائكم
ليس لسبب إلاّ
لأنكم مجرمون مهذّبون
لا تقطعون رؤوساً
قبالة الكاميرات
ولا تتركون أثراً للجريمة
سوى كومة فحمٍ
أو باطون
أو لوحٍ من مدرسة
أو مقعدٍ من جامعة
وكومة حديد
كانت قبل لحظات
تقلّ سائقاً ومسافرين
لم يدفعوا
أجرة الطريق بعد..
فأنتم متقدمون
ودارسون لعلم الجريمة
وخبراءُ في القانون
تمشون في جنائز القتلى
لتعدّوا للجريمة القادمة
وتذرفون الدمع
على الأبرياء
وتقيمون لجان تحقيق
كيف أخطأ جيشكم العظيم
والحكيم!
وكيف قصفت طائراتكم
طفلا يمصّ ثدياً
ذبلّه الجوع
والنسيان
وطالبة
لم تفكّ أحاجيَ
الحروف والأرقام
وثانوياً بَرَعم شاربُه
ونطق أوّل أحرف الغرام
كيف يا حرام !!
عصرت جرّافاتكم
كسيحاً
وكيف..
كيف يا لئام
قنص رماتكم
سيدةً تنشر الغسيل!
لا لم تكن حاملاً
فزوجها
في زنازينكم
يموت ويتجدد
ويموت
منذ ألف ألف عام
...
وأنتم في عالم الأنوار تسبحون
ونحن في ظلماتنا غارقون
وأنتم الحضارة والنضارة
والفهلوة والشطارة
ونحن لسنا سوى مخلوقات
وُجدت صُدفةً
في سراويل نسائكم
وتحت أسرّتكم
وفي خزائن ملابسكم
كما في القصص القديمة
والنُكت البذيئة..
الجميلة
فاقبلوا اعتذارنا
وهاتوا رؤوسكم
نقبلّها
أو نبول عليها
لا تخشوا أن نلوّثكم
أو ننقل إليكم سفلساً
أو طاعوناً
نحن صَنعنا من
أغصان أشجارنا الثكلى
رغم أنوفكم
مُطهّرات
وفراشيَ أسنان
ومن زيتوننا الذي نجا
من حقدكم
صابوناً..

*شاعر وكاتب من فلسطين